المنهاج الدراسي وأثره في التحصيل بين الحواضر العلمية والجامعات الإسلامية المعاصرة

المحور الثاني: المناهج التعليمية في الحواضر العلمية الأساسية.

بقلم الدكتور: هارون الرشيد بن موسى مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)

بقلم الدكتور: هارون الرشيد بن موسى مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)

مقـــــــدمة:

عرفت الجزائر بكثرة الزوايا والمدارس الحرة والتي كاز لها الدور البارز في مقاومة الاستعمار والحفاظ على الهوية الأصيلة للشعب الجزائري ومنعها من التفسخ والانحلال ، واستمر دورها إلى ما بعد الاستقلال ، لكن ومع مرور الزمن تراجع دورها لتفتح المجال واسعا أمام المؤسسات الرسمية كالمدارس والجامعات والمعاهد الإسلامية.

والملاحظ على خريجي هذه المؤسسات ضعف التحصيل خاصة في الآونة الأخيرة، نتج عنه عجز في الكتابة وتبوأ مناصب الإمامة والفتوى والخطابة والقدرة على التأليف مقارنة بسنوات خلت، مما يطرح التساؤل ما هو سبب تدني المستوى؟ ما سر الاختلاف الحاصل بين السابقين و اللاحقين؟

فمن الأسباب الرئيسة في نظرنا تلك الفجوة بين جيل المدارس التقليدية والحديثة هو الاختلاف في المناهج الدراسية ، فالتغييرات الحاصلة على المناهج الدراسية تحت غطاء المعاصرة والانفتاح ومواكبة العصر والتحولات الكثيرة التي تشهدها الجزائر وغيرها من المبررات التي يستند إليها القائلون بالمدرسة الحديثة ، لكنها في حقيقتها نجد الغرض منها التغريب ومحاربة الثوابت وإخراج المناهج عن محتواها.

لذلك أردت إثراء فعاليات هذا الملتقى بتقديم مداخلة قدمت من خلالها قراءة في نموذجين اعتمدتها الجزائر لنرى مدى الاختلاف الحاصل بينها وتأثير ذلك على تحصيل الطلبة .

فالنموذج الأول قبل الاحتلال، وهو النموذج الذي ورثته الزوايا على اختلافها و كذلك الجوامع والكثير من المداس الحرة

والثاني بعد الاحتلال وهو المنهاج الذي اعتمدته وزارة التربية الوطنية إضافة وقد اخترت منه برنامج مادة العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي إضافة إلى أحد مناهج السنة الأولى جامعي تخصص علوم إسلامية.

منهاج التدريس قبل الاحتلال:

إن التعليم الذي كان موجودا في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي هو التعليم العربي الإسلامي التقليدي الموروث عن علوم وتراث ومعارف العصور الإسلامية الاجتهادية والتقليدية معا ، ويتركز موضوعه أساسا على دراسة العلوم العربية واللغوية والأدبية والعلوم الدينية بالإضافة إلى بعض العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة والحساب والفلك والجغرافيا.

وقد كان منتشرا في العهد العثماني لدرجة لم يرتح إليها غلاة المستعمرين ، والسبب في ذلك هو كثرة المؤسسات الدينية وانتشارها مثل الزوايا والمدارس والمساجد والمكتبات والتي لم يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف ، بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية وفي الجبال النائية.

فقد كانت الكتاتيب القرآنية والجوامع والمساجد والرباطات والزوايا والمدارس التي كان قد بلغ عددها قبل الاستعمار حوالي ألفي مدرسة، بالإضافة الى اشتهار حواضرها العلمية الثلاث الشهيرة (تلمسان ، بجاية، قسنطينة) بكثرة طلابها وعلمائها ومكتباتها وكتبها.

وقد زاوجت هذه المؤسسات في مهمتها بين التعليم وتلقين مبادئ الدين الإسلامي ، فقد وجد الفرنسيون بتلمسان لوحدها خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي ، والأمر نفسه بالنسبة لقسنطينة الذي وجد بها تسعين مدرسة ، أما التعليم الثانوي والعالي فقد وجد الفرنسيون بها سبع مدارس ، أما في العاصمة فقد كان بها حوالي مائة مدرسة ما بين ابتدائية وغيرها .

ولم تكن مراحل التعليم متميزة كما هو عليه الحال الآن وإنما كانت متداخلة بعضها بعضا وبصفة عامة كانت هناك مرحلتان :

أولا : المرحلة الابتدائية : وقد كان الأطفال يزاولون تعليمهم في الغالب في الكتاتيب القرآنية التي يطلق عليها في لهجة العامة الجزائرية (المسيد) أو في المدارس القرآنية الملحقة بالمساجد ، وإما في الزوايا .

ثانيا: التعليم الثانوي أو العالي : فقد كان يزاول في بعض المدارس التي بناها محبوا العلم وأنصاره من الحكام والأعيان وذوي البر والإحسان مثل مدرسة سيدي أيوب ومدرسة حسن باشا في العاصمة، ومدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة، ومدرسة مازونة في الغرب الجزائري ذات الشهرة البعيدة ومدارس تلمسان وبجاية، إلى جانب بعض الزوايا والمساجد التي كانت تنهض بوظيفة التعليم أيضا.

هـ برنامج التعليم:يشمل ما يلي:

-أصول الدين : رسائل السنوسي ، والجوهرة للقاني ، بشرح ولده عبد السلام ، والعقائد النسفية بشرح التفتازاني .

-النحو: متن الأجرومية ،بشرح الكفراوي ، ثم متن القطر لابن هشام ، ثم ألفية بن مالك بشرح المكودي وابن عقيل .

- التفسير: الجواهر الحسان في تفسير القرآن لسيدي عبد الرحمان الثعالبي (ت 875).

- القراءات : الشاطبية ، وغيث النفع لأبو الحسن النوري الصفاقسي (ت 118هـ).

- الحديث : موطأ الإمام مالك بشرح الباجي (ت 474هـ) والزرقاني (1122هـ)، وصحيح البخاري بشرح القسطلاني (923هـ) .

- مصطلح الحديث : متن البيقونية بشرح الزرقاني .

- الفقه : المرشد المفيد بشرح ميارة الفاسي(1072هـ) ، متن رسالة أبي زيد القيرواني بشرح أبي الحسن ، ومتن خليل (ت776هـ) بشرح الدردير (ت1201هـ) وشرح الخرشي (ت1101هـ) .

- أصول الفقه : متن الورقات بشرح الحطاب (954هـ) وتنقيح الفصول في الأصول للقرافي (684هـ) وغيرها.

تحليل محتوى البرنامج:إن إلقاء نظرة فاحصة على محتوى هذه البرامج يمكننا تسجيل بعض المزايا والعيوب

أ-المزايا: من إيجابياتها نذكر:

-اعتماد كتب مقررة في التدريس ولوحظ ذلك في المنهاج الأول والثاني يراعى فيها التدرج حسب مستوى الطالب فمثلا في النحو أول ما يقدم للطالب متن الأجرومية كمرحلة أولية ثم بعد ذلك الألفية لابن مالك وفي الحديث يبدأ بمتن البيقونية وبعدها نخبة االفكر وغيرها .

ومن مزايا الاعتماد على الكتب المقررة في التدريس أن الطالب يقوم بحفظ المعلومات في ذهنه بخلاف الاعتماد على نصوص مختارة ثم استخلاص منها قواعد معينة فإنها عرضة للنسيان فلو تسأل أي طالب مثلا في الوقت الحالي عن نواصب الفعل المضارع فيمكن أن يتذكر البعض وينسى الآخر أما في القديم فمباشرة يستحضر المتن.

-اعتماد هذ المنهج على الملازمةأي أن علاقة الأستاذ بالتلميذ لا تنته بانتهاء الدرس ، ..وهذه الطريقة أفيدلأنها تتيح للمتعلم الاستفادة أكثر من أستاذه كما تتيح للأستاذ أيظا أن يتعرف أكثر على تلميذه وبالتالي يمكنه تقويمه.

نتيجة التحصيل تكون خاتمتها الإجازة أي أن الشيخ يجيز تلميذه الذي لازمه وأخذ عنه بعد تأكده من تفوقه وإلماه قدر الإمكان بالمقررات .

-هذه الطريقة تعتمد كثيرا على الحفظ الذي لا ينافي الفهم كما يدعي البعض بل أنجبت هذه المقرراث الكثيرين ممن نبغوا في العلوم العقلية .

-حافظت هذه البرامج على المرجعية المعروفة للشعب الجزائري المتمثلة في المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني

مما جنب الجزائر كثيرا من العقائد المخالفة والأفكار الدخيلة والآراء الإلحادية الهدامة التي عانت منها بلادنا مؤخرا خاصة في ظل تراجع دور الزوايا والغزو الإعلامي عن طريق وسائل التواصل .

-هذه البرامج أنجبت علماء متميزين خاصة في الأدب والفقه والتصوف ، وممن نبغ من العلماء في القرن الحادي عشر أبو عيسى بن محمد الثعالبي(ت 1080 ه) ويحي بن صالح الشاوي المليانى(ت 1096ه) الذي تولى الإفتاء في مليانة وناظر علماء دمشق في المسجد الأموي وتفوق عليهم وله تآليف عديدة والعلامة سعيد المقري (ت 1010ه) الذي انتصب مفتيا بتلمسان مدة ستين عاما ونفع بعلومه جمعا غفيرا من الطلبة)

وممن نبغ في القرن الثاني عشر سيدي عمر بن محمد المنقلاتي القبائلي المتوفى سنة (1105هـ)وكان بحرا عميقا من العلم والفضل والتقوى تخرج عليه العديد من العلماء في الجزائر.

وممن نبغ في هذا العهد بجنوب الجزائر علامة المعقول والمنقول نابغة عصره المحقق ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الثميني من بني يزقن بوادي ميزاب فقد كان مجدد النهضة العلمية في ذلك العصر بهاتيك البلاد وتصانيفه القيمة الثمينة تشهد له بالتضلع وغزارة العلم فمن ذلك كتاب (النيل) وهو من أحسن المتون المدونة في الفقه الإسلامي وهو عمدة المذهب الإباضي في العبادات والمعاملات بمثابة مختصر خليل في المذهب المالكي ، وكتاب (تعاظم الموجين على مرج البحرين) في الفلسفة والمنطق وكتاب (معالم الدين) في علم الكلام وأصول الدين .

عيوبها:

إن هذه البرامج مع ما فيها من إيجابيات لم تخل من عيوب فالغرض من المتون العلمية تسهيل استيعاب المطولات وتيسيرا حفظها وضبط مسائلها لكن بعضها بالغ في الاختصار والإدغام فأخل بالمعنى كما أشار إلى ذلك ابن خلدون واضطرت القافية أيضا النظم إلى الحذف والاختزال ، أو الأخذ بالرأي الضعيف مسايرة للوزن ، واستسلاما للقافية وهو ما جنى على الفقه الإسلامي ،

فابن بشير مثلا وابن الحاجب وابن شاس أفسدوا الفقه بالاختصار والتعمية والغموض وجاء خليل فأجهز عليه ، لكن في الحقيقة الذي أجهز عليه هم الذين جعلوا خلاصة خليل ديوان دراسة للمبتدئين والمتوسطين ، وهو لا يحصل إلا للمحصلين .

تعليم المرأة :كانت المرأة المسلمة في الجزائر إلى عهد قريب محرومة من كل يسمى تعليما إلا شيئا من القرءان يؤدي إلى معرفة القراءة والكتابة ، وهذا النوع على بساطته خاص ببعض بيوت العلم ولا يجاوزون بالبنت فيه الثانية عشر من عمرها ويؤكد أبو لقاسم سعد الله هذا حيث كتب :"أما الإناث فلا يذهبن إلى المدارس إلا نادرا ، ولكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات، وفي كل قرية صغيرة أو دوار كانت هناك خيمة تدعى الشريعة خاصة بتعليم الأطفال ويشرف عليها مؤدب يختاره سكان القرية لهذا الغرض ".

هذه هي الحالة السائدة في الجزائر منذ قرون وتشاركها فيها جميع الأقطار الإسلامية على تفاوت بسيط بينها . ويضيف سعد الله:

"فالمرأة في هذا العهد كانت غائبة على المسرح الرسمي فلا أميرات ولا سيدات مجتمع يشاركن في الحياة العامة ويكن قدوة للأخريات ، ولا شاعرات أو كاتبات يسهمن في الحياة الثقافية وترقية الذوق الاجتماعي ، فالمجتمع الجزائري من هذه الناحية كان أشل، ولعل السبب في ذلك يعوذ إلى أن الحكام غالبا من العزاب والمغامرين وكان ما يشغل وقتهم هو جمع المال والبقاء في الحكم، فإذا اهتموا بالمرأة فإنه لا يعنيهم منها دينها ولغتها وتعليمها ومكانتها ولكن لكونها من الجواري والأسيرات المسيحيات بالدرجة الأولى."

-لم يهتم العثمانيون في الجزائر بالعلوم العقلية كالمنطق وعلم الكلام مما أضفى على الحالة الفكرية جمودا وركودا ، وكان ذلك امتداد للحالة الثقافية في العالم الإسلامي كله بحيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبا. يقول أحد علماء ذلك العصر وقد عبر عن ذلك عبد القادر الراشدي القسنطيني (ت 1194ه) الذي اعتبر أن العلوم العقلية تتنافى مع طبيعة الدين الإسلامي الذي يتمثل أساسا في ما جاء به النقل فقد جاء في أحد أبياته:

خبر عني المـــــؤول أنـــي كافر بالذي قضته العقول

ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول

وما يقال عن العلوم العقلية يقال عن العلوم التجريبية فإن إنتاج الجزائريين في العلوم الرياضية والطبية يعد قليلا مقارنة مع إنتاجهم في التصوف والتاريخ والأدب فلم يكن هناك علماء طبيعة متميزون كما كان هناك متصوفة وفقهاء متميزون، ولعل السبب في ذلك حسب رأي المؤرخ سعد الله أنها من العلوم التي تشرف أهلها على خلاف غيرها، فقد ألف ابراهيم بن أحمد الثغري التلمساني (ت771) معجما صغيرا في الطب رتبه على حروف المعجم كما ألف عبد الرزاق بن حمادوش (ت1197ه) كتابا في فوائد الأعشاب كما اشتهر أبو الفضل محمد المشدالي (ت864ه) بالطب .

وبدل تكوين الجزائريين من الناحية الفنية اعتمد الباشوات و المسؤولون العثمانيون على بعض الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يلبون حاجات الباشا كالعناية بالوسائل الحربية وباء السفن التي كانت من أولى اهتمامات العثمانيين.

وهذا ما يعاب على العثمانيين الذين أهملوا العلوم التجريبية خاصة الطب الذي تتعلق به حياة الرعية، فلم يكن هناك مستشفيات باستثناء الزوايا التي كانت تأوي العجزة والمرضى وكان المرجع في هذا الميدان هو كتب الأقدمين كابن سينا، ولم يكن هناك امتحان ولا مهنة للأطباء والذين يقومون

بالعلاج هم غالبا مرابطون يداوون بالجن والأرواح وليس بالعلم، وكان هناك بعض حملة الشهادات الذين يعالجون مرضاهم في دكاكين تشبه دكاكين أصحاب الحرف الأخرى أما أعمال الجراحة فكان يقوم بها الحلاقون الذين يلجؤون إلى استعمال الكي.

والسبب في عدم تطور العلوم في ذلك الوقت هو أن الولاة الأتراك كانت جهودهم كلها متجهة إلى حركة الجهاد والصراع ضد القراصنة ، ولهذا يلاحظ خلال العهد العثماني بالجزائر طابع الجفاف الفكري و عقم الإنتاج، وهو ما نلاحظه في كل الأقطار التي سيطر عليها الأتراك في الشرق وفي الغرب، ومع كل هذا فلا ننكر بأن مدنا مثل بجاية وتلمسان و مازونة و قسنطينة ، قد حافظت على التراث الفكري و الثقافي الذي ورثته، كما أن مدينة الجزائر التي انتقل إليها المركز السياسي في هذا العهد ، نمت فيها الحركة الفكرية وتطورت واتسع أفق الكثير من أبنائها ، حتى أصبحوا حجة في كثير من الفنون الأدبية والعقلية واللغوية.

المنهاج الدراسي بعد الاستقلال:

ورثت الجزائر غداة الاستقلال، منظومة تعليمية غريبة عن واقعها من حيث الغايات والمبادئ، والمضامين، التي صنعت بيد أجنبية، منظومة أوجدتها سياسة الاستعمار لمحو الشخصية الوطنية وطمس المعالم التاريخية للشعب الجزائري، فكان من اللازم تغيير هذه المنظومة شكلا ومضمونا وتعويضها بمنظومة تربوية تستجيب لطموحات الشعب وتعكس خصوصيات الشخصية الجزائريةالإسلامية، وقد انطلقت المدرسة الجزائرية غداة الاستقلال من لا شيء مستعينة بمن كونتهم مدارس جمعية العلماء المسلمين في مدارسها ومعاهدها وبعثاتها لبعض الدول كتونس، مصر، سوريا..

والبعض من بقايا المدرسة الفرنسية ممن اختاروا البقاء، هذه الأوضاع مجتمعة، والحاجة الملحة إلى تكوين الفرد الجزائري وإعداده للقيام بالمهام التنموية المنوطة به، أوجبت بناء المدارس في كل ربوع الجزائر تعميما للتعليم وديمقراطيته، ومن هنا برزت الأهداف الأساسية الثلاثة "التعريب - الديمقراطية التعليم والاختيار العلمي والفني للعملية التعليمية"، المجهود الذي تطلّب اللجوء إلى الاستعانة بالتعاون العربي والأجنبي في جميع مراحل التعليم الابتدائي، الإكمالي، الثانوي والجامعي، ولكن مع الأسف الشديد فقد كان لذلك تأثيرا مباشرا على وضع السياسات التعليمية وصياغة المناهج عوض أن يساعد على بلورة وتنفيذ السياسات الوطنية.

إن الوضع الاجتماعي في الجزائر بعد الاستقلال والآمال المعلقة على المدرسة في إعادة صياغة المجتمع، جعل المدرسة بما رسم لها من أهداف وغايات منشودة، من أثقل المؤسسات الفاعلة فيالجزائر المستقلة، والحديث عن تطور المدرسة الجزائرية في الفترة الممتدة من 1962 إلى 2012 يذكرنا بمراحل تطور النظام التربوي.

أربع محطات هامة مر بها النظام التربوي:

1 - من 1962 إلى 1970

2 -من 1970 إلى 1980

3 - من 1980 إلى 2000

4 - من 2000 إلى 2012

ففي كل مرحلة من هذه المراحل يتم تغيير المناهج تحت شعار التجديد وأن هناك تعريفان للمنهج الدراسي الاولى تمثله المدرسة التقليدية والثاني المدرسة الحديثة .

فالأولى-حسب زعمهم-تعريف المنهج على أنه المواد الدراسية المنفصلة، أو تعريفه على أنه محتوى المقرر الدراسي، والثانيَّة مجموعة التعاريف الحديثة الواسعة للمنهج المدرسي، التي تمثلت في تعريف المنهج على أنه الخبرات التعلمية، وتعريفه على أنه أنماط للتفكير الإنساني، وتعريفه على أنه الغايات النهائية التي نسعى إلى تحقيقها، وتعريفه على أنه خطة عمل تربوية مكتوبة، وتعريفه أيضًا على أنه نظام إنتاج.

ولقد تعرضت التعريفات التقليدية للمنهج لانتقادات شديدة من قِبَل أصحاب المدارس التجديدية في المناهج، فهم يؤمنون بأن التعلم الحقيقي لا يتم بمجرد تحفيظ المعلومات وتلقينها وتخزينها في الأدمغة، كما ترتكز عليه تعريفات المناهج التقليدية، بل عن طريق التفاعلات التي من خلالها يرى الإنسان ما تنطوي عليه هذه المعلومات من معانٍ وعلاقات، وإن قراءة ناقدة فاحصة لأمهات كتب الأدب التربوي ومظانه في هذا المجال تظهر لنا أن أهم الانتقادات الموجهة سهامها إلى المنهج وفق المفهوم القديم.

ومن الانتقادت التي وجهت للمدرسة الأولى أيضا:

-إجراء الاتصال من جانب واحد، حيث الدور السلبي للمتعلم.

-النظر إلى عقول التلاميذ على أنها مخازن للمعلومات والبيانات.

-الاعتماد على الجانب العقلي، وإهمال الجوانب الانفعالية والاجتماعية والنفسية لدى الطلبة.

-لا يُراعى في إعداد المواد والمقررات من قِبَل المختصين حاجات الطلبة وميولهم الشخصية.

-إضعاف الحاجة للبحث والاطلاع، باعتبار التحصيل الدراسي هدفًا قائمًا بذاته.

-التعامل مع المواد الدراسية على أنها مواد ومهارات منفصلة.

-قصور طرائق تدريس المعلمين؛ لاعتمادهم فقط على إيصال المعلومات.

-إغفال الفروق الفردية بين الطلبة.

-قصور المنهج عن الوفاء بالتطورات الحديثة والانفجار المعرفي.

-عدم توظيف البيئة المحيطة والأنشطة والمشاريع الهادفة.

-غياب الفلسفة المنهجية المستندة لأهداف التربية وحاجات المجتمع.

-الاعتماد على المنهج أو المقرر الدراسي باعتباره المرجع الوحيد المؤهل للنجاح.

لذلك عمد المختصون إلى تعديل المناهج الدراسية وكمثال على ذلك منهاج مادة العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي :

من هدي القرآن الكريم

• وسائل القرآن في تثبيت العقيدة

• موقف القرآن من العقل

• الصحة النفسية والجسمية في القرآن الكريم

• القيم في القرآن الكريم

من هدي السنة النبوية

• المساواة أمام أحكام الشريعة

• العمل والإنتاج في الإسلام ومشكلة البطالة

• مشروعية الوقف

• توجيهات الرسول ص في صلة الآباء بالأبناء

القيم الإيمانية والتعبدية

• أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الإنحراف والجريمة

• الإسلام والرسالات السماوية السابقة

• من مصادر التشريع

القيم الحقوقية

• حقوق الإنسان في مجال العلاقات العامة والتعامل الدولي

• حقوق العمال وواجباتهم في الإسلام

القيم الإجتماعية والأسرية

• العلاقات الإجتماعية بين المسلمين وغيرهم

• النسب وأحكامه الشرعية

القيم الإعلامية والتواصلية

• خطبة حجة الوداع

القيم المالية والإقتصادية

• الربا ومشكلة الفائدة

• المعاملات المالية الجائزة

• الشركة وأنواعها

• الطرق المشروعة لإنتقال المال

• الطرق المشروعة لإنتقال المال 2

محتوى منهج السنة الأولى جامعي شعبة العلوم الإسلامية

وحدات تعلم أساسية محاضرة أعمال موجهة

ترتيل وحفظ القرءان 1س و30د

عقيدة 03سا

فقه العبادات 03سا 1س و30د

مدخل إلى أصول الفقه 1س و30د 1س و30د

لغة عربية 1س و30د

وحدات تعلم منهجية

علوم القرءان 1س و30د

منهجية البحث في العلوم الإنسانية والأساسية 1س و30د 1س و30د

إعلام آلي 1س و30د

وحدات تعلم استكشافية

تاريخ اسلامي السيرة 1س و30د

مادة اختيارية 1س و30د

وحدة تعلم أفقية

لغة أجنبية 1س و30د

الملاحظ على هذا المنهج:

-الإجحاف في الحجم الساعي للمواد المتعلقة بالهوية خاصة في المرحلة الثانوية فمثلا ماذا يستفيد الطالب من ساعة واحدة للعلوم الإسلامية للمرحلة الثانوية .

-عدم الترابط بين المرحلة الثانوية والجامعية بل نجد عدم الترابط وانعدام الوحدة حتى في المرحلة الواحدة فتجد دروس السنة الأولى تختلف اختلافا كليا عن دروس السنة الثانية مما يؤثر سلبا على تحصيل الطالب فلا تكون لديه قاعدة تكوينية تؤهله للتخصص في الفن .

-بالرغم من محاولة وزارة التعليم العالي توحيد مناهج التدريس في الجامعات إلا أننا نجد ذلك الاختلاف البين بينها والسبب اعتماد كل أستاذ على مطبوعة خاصة به بدل الاعتماد على كتب مقررة وكل أستاذ له قناعاته وتوجهه ومرجعيته وهذا من شأنه أن يخلق نوعا من اللا إستقرار في المنظومة القيمية للدولة وهذا ما شهدته الجزائر فبالرغم من المرجعية المعتمدة المالكية والإباضية إلا أنها دخلتها العديد من المذاهب الدخيلة مما نتج عنه إشكالات في الفتوى ، بل والأكثر من ذلك انتشرت كثير من العقائد الهدامة كالقاديانية وغيرها والتي أصبحت تشكل تهديدا صريحا للوحدة الوطنية ، وهذا ما يوجب علينا أكثر مراجعة مناهجنا المعتمدة لما للشمل ورأبا للصدع.

الاعتماد على طريقة المقاربة بالكفاءات مقابل تهميش طريقة التلقين والحفظ في تلقي العلوم وهي طريقة ليست بالجديدة على طرق التدريس ولا يمكن أن تحل محل التلقين والحفظ

فتعليم الاطفال والنشء سبيل لإنقاذهم من براثن الجهل والأمية وتعليمهم لا يتحقق من غير تلقينهم لأن حصول الملكات وتشكلها يتوقف على تلقين مبادئ العلوم يقول ابن خلدون " إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين ، أشد استحكاما وأقوى رسوخا" كما أن تعليم الأطفال وتلقينهم تحرير لهم من سلطة المستبد الذي لا يطمئن إلا إذا كانوا جهالا لا يفهون كالأنعام يقتادون ولا يحتجون .

وقد بسط العلامة ابن خلدون القول فيه فقال: اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب في الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال ، ويذكر له ما هناك من الخلاف

ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدا، فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا إلا وضحه وفتح له مغلقه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته "

كما تتجلى أهمية الحفظ في أنه من أجل القربات ومن أنفع وسائل الثبات وقد جعل الله من خصائص هذه الأمة أن علمها محفوظ فضمن الله تعالى لكتابه بالحفظ دون سائر الكتب قال تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

بخلاف غيره من الكتب فقد وكل الله حفظها للأحبار قال تعالى "إنا أنزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء "

وقد قيل كل لم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علما ، لأن الصفحات والكتب التي فيها ذكر الله لا يمكن أن تدخل الحمام ، لكن الحفظ الذي يكون في صدر الحافظ ، يذهب معه في كل مكان" والحفظ لا يناقض الفهم ، فهما وجهان لقطعة نقدية واحدة ، فلا يعقل أن يعتمد المتعلم الحفظ من غير فهم واجتماع الحفظ بالفهم أزكى وأقوى.

مناقشة وترجيح:

مما سبق يتجلى لنا بوضوح الفارق الجوهري بين المناهج القديمة التي اعتمدتها الزوايا الموروثة عن العهد العثماني وبين المناهج الحديثة المتبنية للطرح العلماني والغريبة عن تقاليدنا الإسلامية فقد أنتجت المناهج القديمة أجيالا من خيرة الأجيال أما المناهج الحديثة فقد أنتجت الكسل والتهاون والضعف اللغوي والمنهجي والأخلاقي ونحن لا ندعي عصمة هذه المناهج ولا خلوها عن العيوب ولا استجابتها لمتطلبات العصر بل ينبغي التجديد فيها لكن شريطة مراعاة خصوصيتنا العربية الإسلامية أما الانسياق وراء مناهج غربية بحجة التجديد فهذا مماينبغي تفاديه

ولنا مثال في الحملة التي شنها الشيخ محمد عبده على الأزهر عندما ضعفت الحركة العلمية فيه بعد سقوط دولة المماليك سنة 922هـ فقد أقامها حربا لا هوادة فيها على علماء الأزهر غير واستعان بالإنجليز وأفتى بجواز ذلك أنهم ردوا عليه بالمثل إذ انتصر أنصار القديم وعملوا على إثارة الشغب بين الطلاب عندما أشاعوا بينهم أن التطوير الحديث مخالف لأعراف الأزهر وصوروا العلوم الحديثة التي أدخلها الشيخ محمد عبده بمثابة الجناية على الدين إذ قال الخديو في الاحتفال بخلع الكسوة عن الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الأزهر الجديد إن جامع الأزهر قد أسس وشيد على أن

يكون مدرسة دينية إسلامية فلا يشغل علماؤها إلا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيغ العقائد وشغب الأفكار لأنه مدرسة دينية قبل كل شيء

وقد انعكس عداء الشيخ محمد عبده للقديم على بعض تلاميذه إذ ربى جيلا شب على حب التجديد في الدين والعلم ، وقد وقعوا ا فيما وقع فيه إذ وجدت في كتاب اتهم بعض الآراء الشاذة كما هو الشأن في كتاب أضواء على السنة المحمدية للدكتور محمود أبو رية وكذلك كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين وكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق

وقد وصف شيخ الإسلام مصطفى صبري عمل محمد عبده في الأزهر بقوله وأما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصته أنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات ولم يقرب الادينيين إلى الدين خطوة وبرر ذلك بأن الشيخ محمد عبده بدلا من أن يلجأ إلى خصوم الإسلام ويناظرهم لجأ إلى جيش علماء الأزهر الذي هو جيشه نفسه وهزمهم بطول ما رماهم به من وصمة الجمود وبفضل ذلك حاز مكانة عظيمة عند المتفرنجين طبعا وعند المنهزمين تبعا .

وجملة القول فيما يخص إصلاح محمد عبده في الأزهر ، إن ثورته العنيفة على الجمود وثوقه الشديد للمدنية كانا سببا في وقوعه في بعض المزالق إذ كان التجديد على حساب الدين وهو ما تجلى في تلاميذه.

فالثورة على القديم ينبغي فيها التروي ومراعاة خصوصيات الأمة، أما التغيير من أجل التغيير فهذا من شأنه أن يعصف بهويتها.

الخـاتمة: في خاتمة هذا البحث يمكننا تسجيل النتائج التالية:

لقد أصبح واضحا أن قضية المناهج التعليمية لم تعد شأنا داخليا ترتبه الحكومات متى وكيف شاءت وتهمله أو تؤجله متى وكيف شاءت وإنما أصبحت شأنا عالميا في ظل ثقافة العولمة وبفعل أدواتها ، وتتم عملية التغيير تحت مسميات براقة ، تحقيق الجودة، والفعالية ، البيداغوجيات المعاصرة.....الخ وهي طريقة جديدة اهتدت إليها الدول الغربية تهدف من ورائها إلى تغيير عقول الأشخاص ليس بقوة السلاح وإنما بتعديل مناهج التدريس في البلد الذي استعمره وذلك بغرض تمييع عقائد شعوب ذلك البلد المغزو وإفراغ عقول أبنائه من المعاني والقيم التي تأسس عليها وهو ما يحدث في الجزائر فمن إصلاح لإصلاح تتغير المناهج إلى الأسوء ، فمخطط القضاء على مادة العلوم الإسلامية مثلا بدأ سنة 2008 بإلغاء تخصص الشريعة الإسلامية في الثانويات، حيث كان معامل المادة 5، وبعدها بسنوات تم إلغاء مواضيع الجهاد واللباس الشرعي والفقه من المناهج التربوية، ليتطور الأمر إلى حذف واحد من معامل المادة التي باتت أقل أهمية من الرياضة والرسم.... في حين زادت من معامل مادة اللغة الفرنسية بدرجة واحدة في مختلف الشعب.

أنجبت الجزائر على مر العصور علماء فطاحل جابهوا وناظروا قرناءهم من المشرق وتفوقوا عليهم والسبب في ذلك يعود لحواضرها العلمية وبرامجها المتميزة كمازونة وبجاية وتوات...فدروسها والحركة العلمية فيها تضاهي الجامعات الإسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة...، لكن لم تلبث أن تراجع دورها بعد الاستقلال.

قائمة المصادر والمراجع

-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي ط01 1998م

-تركي رابح .ابن باديس . رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط04، 1881م.

-انظر: محمد السعيد قاصدي المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان مجلة عصور الجديد ع18 عدد خاص بقسنطينة صيف أوت 1436هـ-2015م،

-خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين ط15، 2002 م .

-عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1414هـ-1993م (12-228)

-عبد الكريم الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الريان الطبعة الأولى .

-السيوطي، بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط 02، بيروت ، دار الفكر بيروت 1399هـ-1979م.

- أبو الحسن علي النوري الصفاقسي، العقيدة النورية في اعتقاد الأئمة الأشعرية ، ، شرح أبي الحسن علي بن محمد التميمي، دراسة وتحقيق الشيخ الحبيب بن

-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، نشر دار الكتب العلمية بلبنان ، ط 01، 1424هـ-2003م .

- المدني ، كتاب الجزائر ، د.ط، د.ت .

-ابن خلدون المقدمة ، دار الجيل ط01 2005م-1426م.

-عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر(990-1040هـ) حياته وآثاره الفقهية منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميةأعلنت عنه، المملكة المغربية 1428هـ-2007م .

-أبو القاسم سعد الله ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، عالم المعرفة (الجزائر) طبعة خاصة 2009م ..

-آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار البصائر ، طبعة خاصة 2009م، .

-محمد حاج عيسى الجزائري، عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس ويليه أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، تقديم الشيخ أبي عبد المعز محمد علي --فركوس، دار الإمام مالك باب الوادي (الجزائر)ط01، 1424هـ-2003م .

- البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان لابن مريم الشّريف التّلمساني، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثّعالبية.

-عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010 .

حميدة، إمام مختار، ،أسس بناء تنظيمات المناهج، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى 2000م . -

-أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر 1990م .

- حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث(1500-1900م)رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران ، إعداد الطالب أحمد بحري-إشراف أ.د محمد بن معمر.

-اسماعيل العربي . الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال . المؤسسة الوطنية للكتاب .(الجزائر) الطبعة الأولى 1983م .ص76-77-78، نقلا عن د/ أحمد عيساوي ، الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مصلحا، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية قسم العقيدة ، جامعة الجزائر، 2002م.